ولذا تجد هذا يؤثر حرقة لانشراح صدره لها وذاك يكرهها
وينشرح لأخرى وهكذا فلما دعا الله أهل البطالة الذين يهيمون
في كل واد من المعاني بسلاطة لسانهم إلى معارضة القرآن
فعجزوا عن الإتيان بمثله ولم يتصدوا لمعارضته لم يخف على
أولي الألباب أن صارفا إلاهيا صرفهم عن ذلك وأي إعجاز أبلغ من
ذلك انتهى ملخصا وحاول بذلك توجيه القول بالصرفة مع
أنه للنظام من المعتزلة لكن أفسده أن قوله تعالى قل لئن اجتمعت
الإنس والجن الآية دليل ظاهر على عجزهم مع بقاء قدرتهم
ولو سلبوا القدرة لم تبق فائدة لاجتماعهم لأنه حينئذ بمنزلة
اجتماع الموتى وليس عجز الموتى مما يحتفل بذكره هذا مع أن
الإجماع منعقد على إضافة الإعجاز إلى القرآن والقول بالصرفة
يلزمه إضافته إلى الله تعالى لا إلى القرآن وحينئذ يلزمه زوال الإ
عجاز بزوال زمان التحدي وفيه خرق لإجماع الأمة أن معجزة الرسول
العظمى باقية ولا معجزة له باقية أظهر من القرآن ويلزم الصرفة
أيضا أنه لا فضيلة للقرآن على غيره فإن قلت القول بعجزهم مع
بقاء قدرتهم فيه الجمع بين النقيضين وهو محال قلت معنى
قدرتهم أن هممهم توجهت إلى المحاكات لظنهم القدرة عليها
معجزة وعلى القول بالصرفة لم يتوجهوا لمعارضته أصلا لقطع
من نفوسهم بعجزهم وأنه لا قدرة لهم عليها البتة فإن قلت

توجه

١٦٢

توجه الهمم إليها مع العجز عنها في نفس الأمر لا يسمى قدرة
قلت ممنوع بل يسمى قدرة باعتبار العرف وقطع النظر عن
الغايات ولا شك أن أهل البلاغة لا يقطعون بسلب القدرة
عن المحاكات ابتداء بل بعد الاختبار فتأمله لتعلم سقوط ما
قيل كيف يخاطبون بالتحدي مع القطع بعجزهم عنه ونظير
ذلك خطاب من علم الله منه عدم الإيمان بالإيمان كأبي جهل
وأبي لهب نظرا لقدرتهم عليه باعتبار الظاهر وإعراضا
عن النظر للغايات والعواقب ومن المعاندين أيضا قول فريق
ضلال إن الكل قادرون عن الإتيان بمثله وإنما تأخروا عنه لعدم
العلم بوجه ترتيب لو يعلموه لوصلوا إليه به وآخرون أن
العجز إنما وقع من الموجودين وأما من بعدهم ففي قدرتهم الإتيان
بمثله ومما يرد عليهم أن جماعة ممن تتشوف إليهم الرياسة
في الفصاحة تعرضوا لمعارضته كابن المقفع والمعري والمتنبي
ونظرائهم فلم يأتوا إلا بما تمجه الأسماع وتنفر عنه الطباع
ونادى عليهم بالخزي والانقطاع وصيرهم مثلة وسخرية وضحكة
إلى أن تاب أكثرهم وأظهر ندمه وتمسكوا لاشتمال القرآن على ما
لا يحصى من العلوم والمغيبات وأحوال العالم الدنيوي والأخروي
وغير ذلك من العجائب كان كل يوم أي وقت تتعدى فاعله القرآن
أي توصل وأفاد التعبير به تشبيه المعجزات بالتحف المهداة

Copyright © King Saud University